

أنماط البنى الحجاجية في سور الحَوَامِيم

الكلمات الافتتاحية: الحجاج، البلاغة، المجاز

م.د.محمود كاظم موات الغزي

كلية الإمام الكاظم للعلوم الاسلامية الجامعة فرع ذي قار

Patterns of structure controversy in the Hawamim

Key words: controversy, rhetoric, metaphor

**D.R: Mahmood kadim mawat algezzy
Imam alkadim college university**

الملخص:

يتناول هذا البحث آلية من آليات البلاغة الحديثة في النص القرآني، تتعلّق بـ"جمالية الحجاج"؛ فالقرآن خطاب حجاجي، موجّه في أساسه للتأثير على آراء المخاطب وسلوكاته، واستمالة العقول، وتوجيه النفوس، ولذلك وظّف الكثير من الأساليب الحجاجية التي تؤمّن له هذه الغايات فضلاً عن ذلك فقد انفرد القرآن الكريم بأسلوبه المعجز ونظمه البديع في عرض موضوعا المختلفة، وطمحت هذه الدراسة للنظر إلى جمالية الحجاج في القرآن الكريم (سور الحواميم أنموذجاً) على أنه كلّ متكامل يعاضد بعضه بعضاً، ويأتي كوحدة بنائية متكاملة من الناحية الفنية، يكسبه السياق تلاحماً عضوياً بارزاً، تتعاضد فيه منظومة من العلاقات الترابطية تسمه بجمالية الحجاج من دون غيره من النصوص الأخرى التي لا ترقى إلى المستوى الحجاجي.

Abstract:

This research deals with a mechanism of modern rhetoric in the Qur'anic text, relating to the "aesthetic of the pilgrims". The Qur'an is a discourse of Hajjaj, directed primarily at influencing the views and behavior of the communicator, and the seduction of the minds and guidance of the souls. In this context, the study is designed to look at the aesthetic of the pilgrims in the Holy Quran (Sur Al Hawamim model) as an integral whole that supports each other, and comes as a structural unit integrated technically, the context gives it an organic cohesion. In which a system of interrelationships is mutually supportive, called the aesthetic of pilgrims without any other texts that do not live up to the level of pilgrims.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد واله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد...

بحثنا يتناول آلية من آليات البلاغة الحديثة في النص القرآني، تتعلّق بـ "جمالية الحجاج"؛ فالقرآن خطاب حجاجي، موجّه في أساسه للتأثير على آراء المخاطب وسلوكاته، واستمالة العقول، وتوجيه النفوس، ولذلك وظّف الكثير من الأساليب الحجاجية التي تؤمّن له هذه الغايات فضلاً عن ذلك فقد انفرد القرآن الكريم بأسلوبه المعجز ونظمه البديع في عرض المختلف، ويتجلى التأكيد على سمو بيانه وذروة بلاغته من خلال متابعة الأسرار البلاغية التي تحتشد بين ثنايا سورة الكريمة، والتي تستحوذ على الأذهان وتأسر النفوس وتعمق الجوانب الإنسانية في الذات ليتحقق الغرض الأسمى في ظل التوجيهات العظيمة والعواقب المنوّه عنها ويزداد أولو الأبواب عبرة وبصيرة، ولعل من أسمى أغراض النظم القرآني أنه يقوم على جمالية الحجاج الديني المحض الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تشوبه الأهوام، وهو يسلك سبيل الصواب ويرسخ في النفس دعامة الكيان الروحي، ويؤصل في روعها التوجيهات الدينية الرائدة، وكان ذلك من أبرز الخصائص التي ينفرد بها الأسلوب القرآني والذي يصب في قوالب الإعجاز ويحاط بسياج من التراكيب العجيبة المحكمة والأساليب البلاغية العالية.

وبناءً على ما تقدم طمحت هذه الدراسة للنظر إلى جمالية الحجاج في القرآن الكريم (سور الحواميم نموذجاً) على أنه كلّ متكامل يعاضد بعضه بعضاً، ويأتي كوحدة بنائية متكاملة من الناحية الفنية، يكسبه السياق تلاحماً عضوياً بارزاً، تتعاضد فيه منظومة من العلاقات الترابطية تسمه بجمالية الحجاج.

وقبل أن نسير نحو جمالية الحجاج في النص القرآني لابد لنا من ان نعرّج تجاه تحديد مفهوم مصطلحي الجمال والحجاج، ومن ثم البحث عن سماتهما ودلالاتهما في سور الحواميم.

المبحث الأول: مدخل إلى المفاهيم الأساسية

أولاً: معنى الجمال في الدرس اللغوي:

جاء في أساس البلاغة في مادة (ج. م. ل) إن فلانا يعامل الناس بالجميل، وجمال صاحبه مجاملة. وعليك بالمدارة والمجاملة مع الناس ونقول إذا لم يجملك مالك لم تجد عليك جمالك، وأجمل في الطلب إذا لم يحرص وإذا أصبت بنائبة فتجمل، أي تصبر، وجمالك يا هذا أي صبرك قال أبو ذؤيب (جمالك أيها القلب القريح) أي: صبرك⁽¹⁾، أما ابن منظور فقد قرر بان الجمال هو "الحسن في الخلق والخلق وهو الانتاد والاعتدال"⁽²⁾.

وجَمَلٌ جمالاً: صار حسناً في صفاته ومعانيه وفي خلقته فهو جميل ومجمال وهي جميلة⁽³⁾.

ورجلٌ جُماليٌّ بالضم والياء المشددة "أي: عظيم الخلق، وجَمَلُهُ أي زِينَتُهُ"⁽⁴⁾.

وقد وردت مفردة الجمال في القرآن الكريم في قوله تعالى "ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون"⁽⁵⁾.

ثانياً: الجمال في الدرس الاصطلاحي:

"هو الحسن وحسن الصورة والسيرة والجمال يطلق على معنيين أحدهما الجمال الذي يعرفه الجمهور مثل صفاء اللون ولين الملمس وغير ذلك، وثانيهما الجمال الحقيقي وهو أن يكون كل عضو من الأعضاء على أفضل ما ينبغي أن يكون عليه من الهيئات والمزاج"⁽⁶⁾.

والجمال مثله مثل الخير والحق صفة تبعث الرضا والقبول والاستحسان في النفس بخلاف القبيح الذي يثير الاشمئزاز والنفور. فعلم الجمال هو الذي يبحث في شروط الجمال ونظرياته، وفي الذوق الفني وأحكام القيم المتعلقة بالآثار الفنية وهو باب من الفلسفة وله قسمان: قسم نظري عام، وقسم عملي خاص⁽⁷⁾.

فالقسم النظري هو الذي يبحث في الصفات التي تشترك في الأشياء الجميلة وتحدد القوانين التي تميّز الجمال من القبح أما (العملي الخاص) فهو الذي يطلق عليه النقد الفني لبحثه في مختلف صور الفن ونماذجها فيكشف عن قيمتها الجمالية ويضع له قيوده وضوابطه⁽⁸⁾.

إن الإحساس بالجمال مسألة فطرية تعتمد الذوق، والدربة، والممارسة فالنفس الإنسانية ميّالة إلى الجمال مشتاقة إليه، نافرة من القبح مبتعدة عنه، وبشكل الموقف من قيم الجمال وإلا بداع الجمالي الفني والتعامل معه بعداً أساسياً في الحضارة البشرية، وما الأدب والفن إلا خير دليل على رقي الذوق الإنساني فالجمال في الحياة والفن ذو معنى واحد "لا يختلف في جوهره وإن اختلف في أوصافه ومظاهره"⁽⁹⁾.

ثالثاً: الحجاج في الدرس اللغوي:

الحجاج ظاهرة جمالية نبتت في التربة الثقافية المشبعة بعلم الكلام اوهو اسلوب جديد يتعامل مع جمالية اللغة. ومعناه في اللغة: "حاجته أحاجه حجاجاً ومحاجة من حجّته بالحج التي أدليت بها. والحجة البرهان، وقيل الحجة ما دُفِع به الخصم. وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون الظفر عند الخصومة، وجمع الحجة حجج وحجاج. وحاجه محاجه وحجاجاً نازعة الحجة. وحجة يحجّه حجاً غلبه على حجّته، وفي الحديث "فحجّ آدم موسى"؛ أي غلبه بالحجة واحتجّ بالشيء اتّخذ حجة، قال الأزهري: إنّما سُمّيت حجة لأنّها تُحجّ؛ أي تقصد، لأنّ القصد لها وإليها"⁽¹⁰⁾. وقال الجرجاني: "الحجة ما دُلّ به على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد"⁽¹¹⁾. فأساس الحجاج الارتكاز على دليل معيّن قصد إثبات قضية من القضايا، وبالتالي بناء موقف ما.

رابعاً: الحجاج في الدرس الاصطلاحي:

يعتبر البحث في "الحجاج" من نتائج التحوّل العميق الذي اكتتف الدرس البلاغي الحديث، وكان من إفرازاته أن تخلّت البلاغة عن نزعتها المعيارية في فرض القواعد، لتهتم برصد الوقائع

فقط. وقد كان من أهم أسبابه التغيّر الجذري الذي مسّ البحوث اللسانية بوجه عام.

لقد كشف تجدد الاهتمام بالدرس البلاغي في العصر الحديث عن طروحات علميّة مغايرة، أدّى إلى ظهور بلاغة جديدة. ويذكر "إيفانوكس" أنّ النجاح الحالي لها "قد اعتمد على العلاقة اللازمة بين البلاغة ودراسة وسائل الإقناع في مجتمع يتّجه يوماً بعد يوم نحو علوم التحريض والدعاية، فسيادة وسائل الإعلام في ثقافتنا تجعل من الخطابة بوصفها ممارسة إبداعية للإقناع، ومن البلاغة بوصفها تقنية ملائمة للإقناع أيضاً، نقطتي إحالة لا بدّ منهما في لحظة سيستعيد فيها الشعب المستهلك السيادة على القديم...

وعلى أية حال فإننا نعيش لحظة استراتيجية الإقناع والتركيز على أدوات الحضور⁽¹²⁾. وقد أضحى "الحجاج في رحاب هذا التحوّل مطلباً أساسياً في كلّ عملية اتّصالية تستدعي الإقناع والإقناع. وانطلاقاً من الدور البالغ الذي أصبحت نظرية الحجاج تلعبه، أو من المفروض أن تلعبه، جعل "بريلمان Perelman" يعتبر أنّ شعريّة البلاغة مطابقة لنظرية الحجاج؛ فقد حصر الأولى في الأخيرة⁽¹³⁾.

ولعلّ أهم شيء تتأسّس عليه دلالة "الحجاج" هو وجود اختلاف بين المرسل للرسالة اللغويّة والمتلقّي لها، ومحاولة الأول إقناع الثاني بوجهة نظره، بتقديم الحجّة والدليل على ذلك. فالحجاج انتهاج طريقة معيّنة في الاتّصال، غايته استمالة عقول الآخرين والتأثير فيهم، وبالتالي إقناعهم بمقصد معيّن.

وهذا المفهوم هو الجوهر الذي ركّزت عليه الخطابة الجديّة؛ إذ تُطلق لفظة حجاج ومعالجة Argumentation عند "بريلمان" و"تيتيكاه" على العلم وموضوعه، ومؤدّاها درس تقنيات الخطاب التي تؤدّي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم. وريّما كانت وظيفته محاولة جعل العقل يذعن لما يُطرح عليه من أفكار، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان إلى درجة تبعث على العمل المطلوب. وعلى صعيد آخر يمكن القول

بأنّ الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له، ومن ثم سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثاً في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية، وعلاقة الترابط بين الأقوال، والتي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية⁽¹⁴⁾، فوظيفة الحجاج ترتدّ إلى طرح الحجج التي تضمن النفاذية للخطاب اللغوي، وبالتالي حصول الاقتناع الفعلي بالقضية المطروحة. وهذا يعني توظيف الآليات التي تجتاز الاعتقاد الأولي نحو التغيير، وبناء الموقف المغاير.

وإذا كان الحجاج يرتبط في أساسه بما تستدعيه أساليب إجراء اللغة، فإنّه من الضروري أن نشير إلى أنّ هذا الأمر لا يتوقّف عند هذا الحدّ؛ بل يأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه نوعية الخطاب من جهة، ومستلزمات المتلقي من جهة أخرى. فالغاية التي يتأسّس عليها هي مجابهة العقول وإقناعها بالطرح المقدم، ولذا "فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثم اختيار أحسن السبل لمحاورتها، والإصغاء إليها ثم محاولة حيازة انسجامها الإيجابي والتحامها مع الطرح المقدم. فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان فإنّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير"⁽¹⁵⁾. ندرك أنّ نظرية الحجاج تتجاذبها جوانب مختلفة، لا تتعلّق باللغة فحسب؛ بل ترتبط أيضاً بالجانب النفسي والاجتماعي والثقافي، وغيره من المستلزمات التي توطّر وتسهم في إنتاج الخطاب اللغوي الحجاجي.

والحجاج نجده " في كل ظواهر اللغة بشكل أو بآخر"⁽¹⁶⁾، كما نجده في المقتضى الذي يتخذ من اللغة مسرحاً لظهوره بوصفه " شكلاً من أهم الأشكال الحجاجية الكامنة"⁽¹⁷⁾ وهذا يعني أن المقتضى حالة خطابية ينتج عن التركيب والسجال الكامن في جوهر اللغة، وليس هو طارئ عليها⁽¹⁸⁾، فالحجاج من خلال ما تقدم آليات لغوية محضة، تجدها في كل قول وخطاب، سواء أ كان هذا الخطاب أدبياً أم فلسفياً أم دينياً أم سياسياً أم غير ذلك، ومن ثم فإن أشكال الحجاج في الخطاب متعددة، فقد يكون تركيباً وهذا أمر بديهي، وقد يكون كلمة أي كلمة، أو يكون ضمن تقنيات الخطاب البلاغي غايته أن يجعل العقول تذعن يطرح عليها أو يزيد في درجة الإذعان،

فأنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهتئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة⁽¹⁹⁾، فضلاً عن ذلك فإن الحجاج يستميل القلوب ويشي الأعناق، وهذه الغاية قد أحاطها القرآن الكريم وسيأتي الحديث عليه لاحقاً.

وللحجاج مصطلحات مرادفة كثيرة منها ما يطلق عليه بـ(الحجاج النظري)⁽²⁰⁾، سماه الزركشي "إلجام الخصم بالحجة"⁽²¹⁾ أو يسمى بـ(المذهب الكلامي) أي أن "يسلك فيه مذهب أهل الكلام في استدلالهم على إبطال حجج خصومهم والمراد بأهل الكلام علماء أصول الدين"⁽²²⁾ أو احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم وإبطال ما أورده الخصم"⁽²³⁾، ومنهم من يسميه بـ(الجدال) أو (القياس) أو (التمثيل) وهو بهذا (الحجاج) نظرية حديثة تدخل ضمن البلاغة الجديدة التي تشعرك بفهم المعنى واستيعابه بشكل فني، لكن ليس بعمل الوهم والخيال الخصب، بل من عمل الذهن الجدلي الحاد، وتأثيره في المتلقي لا يأتي عن طريق الإعجاب بالصورة، بل من الإحساس بطرافة الاستدلال والتعليل والتمثيل، إنه خطاب يدفع المتلقي دفعاً إلى التأمل وإعمال الذهن وإطالة النظر، ومن المعروف أن عبد القاهر الجرجاني يؤكد لذة القراءة القائمة على بذل الجهد وتجشم العناء من أجل الفهم، ونفي المزية عن كل ما لا يستعان عليه بالنظر ويوصل إليه بإعمال الفكر، فهو يقول: "ومن المركوز في الطبع إن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاشتياق إليه ومعاناة الحنين نحوه كان نيله أحلى وبالمزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف وكانت به أضنّ وأشغف"⁽²⁴⁾، ويقرر عبد القاهر الجرجاني أن النفس مولعة بالكشف على المعنى المغطى، ويشبه هذا الضرب من المعاني بـ"الجوهر في الصدف لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه، وكالعزير المحتجب لا يريك وجهه حتى تستأذن عليه"⁽²⁵⁾، فهل ينطبق هذا الكلام على ضرورة التأمل في تلقي النص على شيء أكثر مما ينطبق على الأمثلة المنقولة التي سوف يتم ذكرها في هذا البحث في القرآن الكريم ؟ في تصوري أن خطاب الاستدلال والتعليل والتمثيل بالذات يقع ضمن الدائرة التأثرية التأملية التي

يتحدث عنها الجرجاني هنا، ولهذا فهو خطاب لا يمكن أن ننفي جماليته.

المبحث الثاني: أنماط البنى الحجاجية في القرآن الكريم

قبل المضي في تناول أنماط البنى الحجاجي في سور الحواميم من الضروري أن نركز على أنماط البنى الحجاجية في القرآن الكريم التي يتأسس عليها الخطاب القرآني بصورة عامة، والتي جعلته خطاباً حجاجياً بدرجة أولى؛ لأنه جاء ليبسط للعالمين عقيدة عالمية، تقتضي توظيف الآليات الحجاجية التي تحتوي العقل الإنساني وتقنعه. وهذه الأنماط هي:

أ . الخطاب القرآني يسعى إلى "الإقناع"، وفي رحاب هذا الطرح فإنه يأخذ بعين الاعتبار في كل القضايا المعطاة كل ما يمكن أن يعتقده المتلقي منذ البداية، ولذا فإنه إذا ما حاولنا الغوص في آيات القرآن الكريم وآلياته التعبيرية وأساليبه البلاغية وأطروحاته المنطقية من قياس وبرهان وتمثيل فإننا نبحت في آليات الإقناع المنتهجة فيه.

ب . القرآن الكريم هو خطاب موجّه إلى مخاطب كوني؛ أي أنه لا يتوسل متلقياً معيناً في زمان أو مكان مخصوصين؛ وإنما هو خطاب موجّه إلى البشرية جمعاء، فهو غير مقيد بزمان أو مكان، قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ⁽²⁶⁾)، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم بُعث إلى كافة الناس، ولذا فالقرآن الكريم يسعى إلى جعل العقيدة المبسوبة فيه إلى ديانة عامة غير مقيّدة، وهنا نشير إلى أن القرآن الكريم هو دائماً بالنسبة لمن يحتاج عبارة عن بنية ممنهجة نوعاً ما، أي أنه يؤطر القول ويجعله ملائماً لظروفه الواردة فيها، والمتكلم البارع هو الذي يستحوذ حذقاً وطواعية على مدارك المعنيين بخطابه أو بنصه طيلة فترة الاستماع في حالة الإلقاء، أو النظر التحليلي حالة القراءة. والقرآن الكريم في إطار هذا الطرح استطاع أن يؤثر على النفوس، ويستميل العقول من أجل التدبّر في آياته ومعجزاته من أجل الاقتناع بمقاصده.

ج. كونية الخطاب القرآني جعلته يقوم على توظيف أساليب متنوعة في التبليغ، لا تتأسس على الفهم والإفهام فحسب؛ بل تقوم أيضاً على نمط التأثير واستمالة الآخرين، واستفادهم بغية استنهاض ملكتهم وجعلهم ينخرطون في الحركة الفكرية الموجودة في الخطاب القرآني، وهذا ما يجعل النص القرآني يفترض في طرحه للقضايا الدينية وجود متلقٍ فعلي أو مفترض، يستدعي محاجته وإقناعه.

أنماط البنى الحجاجية في سور الحواميم:

1- تثبيت عقيدة التوحيد بالحجج والأدلة:

نلاحظ سور الحواميم قد استحضرت في إنجازها كل الاعتراضات التي يمكن أن تدور في خلد المتلقي الفعلي أو المفترض، لاسيما إبراز كلمة التوحيد التي نزل بها كما أوردها دعائها من الأنبياء والمرسلين السابقين. فقد نزلت لتثبت عقيدة التوحيد بالحجج والأدلة، وكلها تتصل بعظمة الله تبارك وتعالى وقدرته وذلك في قوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ⁽²⁷⁾).

نلاحظ النص القرآني قد ساق فضاء حجاجياً مؤثراً ومقنعاً لدى المتلقي إذ يواجههم بمنطق فطرتهم، وبما لا يجادلون فيه ولا يشكون، وهو أن الله خالقهم، فكيف يشركون معه أحدا في عبادته ؟ وكيف يصرفون عن الحق الذي تشهد به فطرتهم ويحيدون عن مقتضاه المنطقي المحتوم ؟ وقد أكد أنهم يقرون بأنه الخالق فقال (ليقولن)، فهذا التوكيد كافٍ في إثبات سفاهة رأيهم وما هم عليه من الشرك، والخطاب هنا قد يكون للنبي (ع) أو لغير معين. أما قوله (فأنى يؤفكون) ففيه الإنكار والتعجب من انصرافهم عن عبادة الله إلى عبادة آلهة أخرى، فهو استفهام تعجيبى وإنكارى، وبنى الفعل للمجهول زيادة في هذا الإنكار واستجلاباً للتوبيخ والذم، إذ لم يصرفهم صارف وإنما هم صرفوا أنفسهم عن عبادة الخالق⁽²⁸⁾، فكان هذا الحجاج ملجأ لهم بما فيه من الإنكار والتعجب والتوبيخ.

وفي سورة الزخرف نجد القرآن الكريم يحشد طاقات حجاجية هائلة مبنية على ملاءمة ذلك المقام للموضوع أو الغرض الذي يؤم النص إليه وهو "احتجاج على ربوبية تعالى وتوحده فيها مع إشارة إلى المعاد وتبكيكت لهم على إسرافهم مأخوذ من اعترافهم بأنه تعالى هو خالق الكل..."⁽²⁹⁾ قوله تعالى: "وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ"⁽³⁰⁾ وهذا الاعتراف بخلق ووجود الله هي حجة دامغة وأي حجة أقوى من هذه؟! ولا شك في أن توجيه الخطاب للرسول (ﷺ) والإعراض عن مخاطبتهم مباشرة فيه توبيخ لهم وزيادة إنكار لشركهم، كما انه يتضمن التعجيب من حالهم، والاحتجاج هنا ينصب على بطلان الإشراك فيبدأ بإقرارهم الضمني: أَنَّ أَصْنَامَهُمْ خَالِيَةٌ عَنْ صِفَةِ اسْتِحْقَاقِ أَنْ تَعْبُدَ⁽³¹⁾. وقد جاء الخبر مؤكداً بـ(اللام) الموطئة للقسم، ولام الجواب، ونون التوكيد، لتحقيق أنهم يجيبون بذلك، تنزيلاً لغير المتردد في الخبر منزلة المتردد، فيكون هذا التنزيل كناية عن استحقاق حالتهم بالتعجيب، وقد تكرر الفعل (خلق) لتوكيد إقرارهم بخلقهم وخالقهم، وهذا أشد إنكاراً لحالهم وادعى لزيادة عقوبتهم لأنهم عبدوا بعض مخلوقات الله وجعلوها شريكة له. وعدل عن الاسم العلي الى الصفتين (العزیز العليم) زيادة في إفحامهم بأن الذي انصرفوا عن توحيده بالعبادة عزيز عليهم، وأوثر هذه الثنائية بالذكر لأنها مضادة لصفات الأصنام إذ لا عزة لها ولا علم⁽³²⁾، بل ليس لها أي شيء، وذكر الصفتين هو من كلام الله وليس من كلامهم، وفي ذلك زيادة إنكار لهم وتوبيخ، لأنه يعلمهم أن الله الذي يعترفون بأنه خالق السموات والأرض هو (العزیز العليم).

2- تثبيت إبطال ما أورده الخصم بالحجة:

وهذا ما لمسنه في سورة الزخرف إذ نلاحظ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتكئ على النص القرآني محتجا ومستدلا على هؤلاء الكافرين فيما هو عليهم من الشرك إذ يجادلهم بحجة تفند ما يدعون، وذلك في قوله تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ⁽³³⁾). نلاحظ النص قد جاء على سبيل الحجاج

متوجها من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى هؤلاء الكافرين لـ "إبطال لألوهية الولد بإبطال أصل وجوده من جهة علمه بأنه ليس..." (34).

وقد خرج الكلام هنا مخرج الشك للمبالغة، والمعنى: قل يا محمد إن كان لله ولد فأنا أول من يعبد ولده، ولكن يستحيل ذلك، وهذا مبالغة في الاستبعاد، أي لا سبيل إلى اعتقاده، فضلا عن أنه ترقيق في الكلام، وتلطف، وقيل إن (إن) هنا بمعنى (ما) والمعنى، ما كان للرحمن ولد، وقيل هي للشرط وهو الأجود⁽³⁵⁾، "والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز"⁽³⁶⁾ ولا سيما أن الآية قد وردت على سبيل الفرض والتمثيل، والهدف هو المبالغة في نفي الولد مع تمكن الناطق بها على دحض أية شبهة بقدوم ثابتة في باب التوحيد⁽³⁷⁾، وأوثر (إن) دون (إذا) لأنها تستعمل في الشرط غير المتوقع حصوله، ويرجح ابن جرير الطبري معنى الآية بقوله: "والصواب: قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله إن كان للرحمن ولد فأنا أول عابديه وأولى بذلك منكم، ولكنه لا ولد له فأنا عبده بأنه لا ولد له ولا ينبغي أن يكون له"⁽³⁸⁾. ويذهب الرماني إلى أن نظم الآية جاء على سبيل إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل والمظاهرة في الحجاج⁽³⁹⁾. ولا يخفى أن فائدة الربط بالشرط في الآية هو استلزام إحدى القضيتين للأخرى، فلو كان له ولد سبحانه لكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول العابدين فلما لم يكن له ولد ولم يعبد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فعليكم أيها المشركون أن تعبدوه وتتركوا عبادة الأصنام. وجاءت الآية الثانية على سبيل التذييل لأنها نزهت الله عن جميع ما يصفونه به، والتعبير عن صفات الله بـ (رب السموات والأرض رب العرش) يوحي بعظمته وقدرته، فتدرك النفس أن صانع هذا كله لا يكون له شبه بالخلق الذين يلدون وينسلون، فتقضح أقوالهم وتبدو لهوا ولعبا وخوضا وتقحما لا يستحق الجدل بل يستحق الإهمال والتحذير⁽⁴⁰⁾، فلا تخلو الآيتان من إشارة إلى حجة على الوجدانية إذ لما كان الخلق مختصا به تعالى حتى باعتراف الخصم وهو من شؤون عرش ملكه والتدبير من الخلق والإيجاد فانه إيجاد النظام الجاري بين المخلوقات فالتدبير أيضا من شؤون عرشه فربوبيته للعرش ربوبية لجميع السماوات والأرض⁽⁴¹⁾.

3- حجج تقطع العناد:

وهذا ما لمسناه في سورة الجاثية إذ نلاحظ القرآن الكريم يسوق الحجج باستمرار، وإن شئت فقل ينتقل من حجة إلى أخرى أو من خطاب إلى آخر داخل سياق النص إذ يوجه خطابه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليذكرهم - على سبيل الحجاج - أن الله بيده الإحياء والإماتة وبيده جمع السابقين واللاحقين في يوم القيامة، وليكون هذا الخطاب عاما وشاملا لكل الناس في كل زمان ومكان وخالداً إلى يوم القيامة يتدبره الناس فيتعظ من يتعظ ويعرض الخاسرون، وذلك في قوله تعالى (قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ⁽⁴²⁾).

وفي توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم ليقول ذلك لهم، رد وإلجام لمقاتلتهم التي طلبوا فيها أن يأتيهم بآبائهم قبل الموعد الذي قدره الله، لكي يقتنعوا بصدقه وبقدرة الله على إحياء الموتى في يوم الجزاء، ولا يخفى ما في مقاتلتهم من جهل، أليس الله ينشئ الحياة أمام أعينهم على وفق سنة إنشاء الحياة ؟ فما طلبوه يتكرر كل يوم أمام أعينهم، هو الذي يحيي، وهو الذي يميت، فهو الذي يحييكم بعد كونكم نطفاً أمواتاً، ثم يميتكم بقدرته لا الدهر هو الذي يميتكم، ثم يحييكم ويجمعكم يوم القيامة كما أحياكم في الدنيا. وتقدم لفظ الجلالة (الله) على المسند الفعلي ليفيد تخصيص الإحياء والإماتة به وقصرها عليه لإبطال قولهم: إن الدهر هو الذي يميتهم⁽⁴³⁾.

وتقديم الإحياء على الإماتة يتناسب مع سياق الحجاج والرد على ما قالوا من قبل. وإيثار صيغة المضارع تفيد التجدد والاستمرار مما يزيد من بيان دلائل القدرة العظيمة ووضوحها أمامهم. ولا يخفى ما بين (يحييكم) وبين (يميتكم) من طباق، وقوله (لا ريب فيه) احتراس أفاد التوكيد في سياق الحجاج، وأوثر (الريب) على (الشك) لأن الشك أضعف منه ولو لم يكن كذلك لما وصف (الشك) في ست آيات بـ (مريب)⁽⁴⁴⁾، فاختيار الأقوى يتناسب مع سياق الحجاج.

ثم جاء قوله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) على سبيل الوصل ليكون المعنى: ولكن ترتيب كثير من الناس فيه لأنهم لا يعلمون دلائل وقوعه⁽⁴⁵⁾. فكان ذلك توبيخا لهم ولأمثالهم ممن لا يدركون حقيقة قدرة الله في الإحياء والإماتة، وقدرته على البعث، ومما يلحظ أن خطاب الحجاج غالبا ما يقدم الحجة أو الدليل الذي يلجم الخصم ويرد مقالته، ثم يسوق موطن العبرة والعظة لمن تفكر وتدبر، ويضمن ذلك إنكاراً وتعجيباً وتوبيخاً ليستكمل بها قوة الحجاج في إلجام الكافرين.

4-حجج تبطل إدعاء المشركين:

وقد بينا من قبل أن الغاية التي يقوم عليها الحجاج هي تحقيق الاقتناع بالرأي أو بالدعوى المقدّمة، بالاعتماد على الحجّة والدليل على ذلك وهذا ما لمسناه في سور الحواميم وقد وُظِفَ فيها من الحجاج ما يخدم الدعوى الأولى: دعوى التوحيد، وهذا ما تقدم ذكره: ودعوى الشرك مع عناد المشركين وإصرارهم على محاربة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد توالى خطاب الحجاج، فما هم يقولون عن الحق الذي جاء انه (سحر مبین)، ثم يطلقون مقولة أخرى وادعاء قبيحا آخر لا يستند إلى شبهة أو دليل فيتهمون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بانه افتراه. فينكر القرآن ذلك في سورة الاحقاف: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنْ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)⁽⁴⁶⁾. جاء الحجاج بصيغة الاستفهام الإنكاري لكون الاستفهام هو طلب المعرفة حول شيء معين، وله دور كبير في العملية الحجاجية، "نظراً لما يعمل به من جلب القارئ أو المستمع في عملية الاستدلال، بحيث إنّه يشركه بحكم قوّة الاستفهام وخصائصه، فهو أسلوب إنشائي. وهذه الأمور أيضاً هي من سمات الاستفهام البلاغي في القرآن الكريم بحيث إنّه يخدم مقاصد الخطاب ويلعب دوراً أساسياً في الإقناع بالحجة"⁽⁴⁷⁾. فللاستفهام بنية حجاجية تقوم على طرح القضية المخصوصة، ثمّ تقديم ما يشرحها ويعلّلها. ليوحي بان هذا القول لا يمكن أن يقال، ويلقن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يرد عليهم بأدب النبوة، وفي رده تحذير وترهيب، وإطماع

وتخصيص، يأخذ على القلب مسالكه، ويلمس أوتاره، ويشعر السامعين أن الأمر أجل من مقولاتهم الهازلة، وادعاءاتهم العابثة⁽⁴⁸⁾.

وقد بدأت الآية بـ (أم) المنقطعة للإضراب الانتقالي من حكايتهم السابقة إلى ما هو أشنع منها والتقدير: بل يقولون افتري القرآن على الله في دعواه إنه كلامه⁽⁴⁹⁾. والاستفهام للإنكار على مقالتهم، بأنه افتراه، أي اختلقه، وفي الإنكار تعجيب أيضا، فيأتي التلقين في سياق خطاب الحجاج على سبيل إرخاء العنان أو إخراج مخرج الشك للمبالغة في الحجاج، والتمكن من إجام الخصم، فيؤثر التعبير القرآني (إن) على (إذا) لأنها تستخدم في الشرط الذي لا يتوقع حصوله، وقوله (إن افتريته) جاء على وفق هذا الأسلوب على سبيل الفرض، وجواب الشرط (فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) أي لا تقدرُوا أن تردوا عني عذاب الله فكيف افتري على الله لأجلكم⁽⁵⁰⁾، وفي ذلك تهكم بهم إذ أسند فعل (الملك) لهم وهم لا يستطيعون أن يدفعوا عنه، ولكنهم جزموا بأنه افتري القرآن، فحالهم حال من يزعم إنه يستطيع أن يرد مراد الله فاستحقوا هذا التهكم بهم، فضلا عما في ذلك من التهديد. وتكثير (شيئا) يفيد التقليل، وتقديم (من الله) للتعظيم. وضمير الفصل (هو) أفاد قصر العلم الكامل بتكذيبهم على الله وهو ما يناسب سياق الحجاج. وعبر عن كذبهم بـ (تفيضون) وهو الخوض في التكذيب والاندفاع فيه، وصيغة المضارع تفيد التجدد والاستمرار، وتعلو لغة الحجاج في قوله (كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) وهو احتجاج آخر على نفي الافتراء وأول الاحتجاجين قوله: "إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا" وقد تقدم بيانه آنفا، ومعنى الجملة: أن شهادة الله سبحانه في كلامه بأن كلامه وذلك ليس افتراء مني يكفي في نفي كوني مفتريا به عليه وهذا تحذير وترهيب وقوة في إجام الخصم بعد عرض الحجة، فالله يشهد على كل شيء ويعلم الصدق من الكذب.

وتختتم الآية بقوله (وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) يغفر لمن تاب منكم وآمن، ويرحم عباده المؤمنين. وفي ذلك استدعاء إلى التوبة ليكتمل الحجاج بذكر الغرض من سوق الأدلة والبراهين على صدق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإبطال كذب وادعاء الكافرين.

5- الإقناع وإلجام الكافر بالحجة:

وهذا ما لمسناه في سورة الجاثية، إذ نلاحظ القرآن الكريم كيف ألجم الخصم بالحجة واللجوء إلى الإقناع بأسلوب موجز يحمل في طياته أشد معاني التوبيخ والإنكار مخاطبا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على لسان حال الكافرين في قوله تعالى (تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ)⁽⁵¹⁾.

فقد تضمنت الآيات من (3 - 5) ذكر بعض الآيات الكونية ودلائل القدرة العظيمة التي من شأنها أن توقظ العقول وتلمس القلوب، فهي آيات ظاهرة لهم يرونها بأعينهم، وهي آيات تتلى في القرآن حقا وبقينا ثابتا فما بال هؤلاء لا يوقنون.

وتشير الآية ب (تلك) إلى ما سبق ذكره، أو إلى حاضر في الذهن، والمعنى: تلك آيات الله المنزلة في القرآن. وإيثار (تلك) دون غيرها للتعظيم، وأضيفت (آيات) إلى اسم الجلالة لأنه خالقها، وهو ما يناسب مقام الحجاج، ومعنى كون هذه الآيات متلوة، أن في ألفاظ القرآن المتلوة دلالة عليها، وإسناد التلاوة إلى الله مجاز عقلي لأن القرآن كلام الله الدال على تلك الآيات⁽⁵²⁾. وقوله (بالحق) احتراس وإلجام لما في نفوسهم من شك فضلا عن تناسب هذا الاحتراس مع سياق الحجاج، والاستفهام (فبأي حديث) مستعمل في التأييس والتعجيب، وفيه حذف تقديره: بعد حديث الله أي بعد سماعه، وقدم اسم الجلالة (الله) على (آياته) للمبالغة والتعظيم⁽⁵³⁾، فكان هذا التعجيب والإنكار الضمني وجها من وجوه خطاب الحجاج بما فيه من توبيخ للمشركين.

وفي سورة الاحقاف نلاحظ النص يتوجه بحجاج آخر بمخاطبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليتبع أسلوبا آخر في حجاجهم هو أسلوب التشكيك لا أسلوب الجزم، على الرغم من اليقين الجازم بأن هذا القرآن من عند الله. ويتضمن هذا الخطاب حجاجاً آخر اخرج مخرج الشك للمبالغة، فضلا عما فيه من توقيفهم على خطر ما هم فيه من الضلال، وفيه تعريض بالكافرين وتوبيخ. وذلك في قوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي

إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمَّنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ⁽⁵⁴⁾). يعمد النص القرآني إلى البدء في الحجاج على سبيل استدراجهم للوصول إلى الحق، فما أنكروه وادعوه انه ليس من عند الله ليس بمحال، فلم يكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أول الناس جاء برسالة من الله. فتبدأ الآية بالاستفهام التقريري للتوبيخ، وفي هذا الاستفهام تنبيه لهم على خطأ ما يدعون، وقد أوتر الاستفهام لزعة الإصرار والعناد في نفوسهم وإثارة الخوف فيها، والتخرج من المضي في التكذيب ولاسيما بإثار أسلوب الشك الذي يدعو المخاطبين للنظر والتثبت. ويأتي بعد الاستفهام أسلوب الشرط، فالشرط في العربية يقوم على أمرين الشرط وجوابه، كما في قوله (إن كان من عند الله وكفرتم به) أي القرآن، وقد حذف جواب الشرط الذي دل على الجدل والحجاج، وتقديره: أفترون أنفسكم في ضلال⁽⁵⁵⁾. ويأتي توبيخهم على ما هم فيه من الإنكار على سبيل جناس الاشتقاق في (وشهد شاهد)، فمعجزة القرآن لا يخفى أنها من عند الله تعالى ولكنكم كفرتم به على الرغم من ذلك، وعلى الرغم من شهادة شاهد من بني إسرائيل على صدق ما جئكم به وانتم الذين نزل القرآن فيكم فكان أولى بكم أن تؤمنوا قبل إيمان غيركم من الأمم الأخرى.

وقوله (على مثله) يجوز أن يكون كناية عما أضيف إليه لفظ (مثل) فيكون لفظ (مثل) بمنزلة المقحم على طريقة قول العرب (مثلك لا يبخل) والمعنى: وشهد شاهد على صدق القرآن فيما حواه⁽⁵⁶⁾. ويزيد من توبيخهم في قوله (آمن)، ولا يخفى ما بينها وبين (كفرتم) من طباق يظهر هذا التوبيخ ويزيد من قوته فضلا عن قوله (واستكبرتم) للإيحاء بان الدافع إلى الكفر هو الاستكبار ولا حجة لهم سواه. وفي الآية احتباك، إذ "ذكر الإيمان أولا دليلاً على ضده ثانياً، والاستكبار والظلم وعدم الهداية ثانياً دليلاً على أضدادها أولاً، وسره انه ذكر سببي السعادة ترغيباً وترهيباً"⁽⁵⁷⁾. وبعد ذكر الاستكبار مقابل إيمان شاهد من بني إسرائيل يتبين ظلمهم وكأن جواب الشرط هنا يعلن اعترافهم بالظلم، فيأتي تذييل الآية بقوله (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) على سبيل الفصل لتثبيت معنى جواب الشرط وتوكيده⁽⁵⁸⁾، ويكون التذييل حكماً عاماً ومثلاً ثابتاً لهم ولا مثالهم، وقد وصفوا بالظلم وكأنه تعليل لذلك الاستكبار الفارغ، وفي هذا

الوصف إشعار بعلّة الحكم، فعلة الكفر الضلال، وعلّة الضلال الاستكبار، وعلّة الاستكبار الظلم. وفي ذكر (قوم) إحياء بأن الظلم قد أصبح من مقوماتها لا يفارقهم أبداً لذلك استحقوا هذا الحكم الذي جاء بصيغة نفي المضارع (لا يهدي) للإحياء باستمرار نفي الهداية وتجده مدة بقائهم في الضلال والظلم. وهكذا يشتمل الحجاج على الشك وإرخاء العنان وسوق الدليل والحجة الداحضة والتوبيخ والتعريض ثم بيان علة الكفر والضلال بالتذليل الذي يقدم العبرة لكل معتبر. ويستمر القرآن بالجام الخصم بالحجة، في سورة الاحقاف إلى ما هو عليه من الشرك، فيعتمد أيضا على سوق الأسئلة لهم للتنبية على خطل رأيهم ووهن عبادتهم، ويحاججهم على سبيل الاستفهام والتعجيز بقوله تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ إِنِّي نُوْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ⁽⁵⁹⁾). فهو تلقين من الله تعالى لرسوله الكريم (ع) ليواجه القوم في الحجاج بشهادة كتاب الكون المفتوح، فهو محسوس لا يقبل الجدل والمغالطة. فيبدأ التلقين بـ(قل) توبيخا لهم وتبكيئا، وبسؤالهم (أرأيتم) على سبيل الاستفهام التقرييري وهو كناية عن معنى (أخبروني) عما تدعون من دون الله، و (أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ) بأسلوب الأمر الذي يفيد التعجيز، وهو كناية عن النفي لأنهم إن لم يخلقوا من الأرض شيئا فلا تستطيعوا أن تروني شيئا⁽⁶⁰⁾. والاستفهام في (ماذا خلقوا) استفهام إنكاري، وقوله (من الأرض) يوحي بإرخاء العنان لهم فـ (من) للتبعيض، ي جزء أو شيء من الأرض، فنزل معهم في التعجيز إلى أدنى درجات يأسهم عن تحقيق المطلوب ليبصروا ما هم عليه من الضلال. ويكرر الإنكار في الاستفهام المقدر بعد (أم)، والمعنى: ليس لهم شرك مع الله في السماوات، وقد جاء نظم الآية على سبيل الاحتباك، إذ "ذكر الخلق أولا دليلا على حذفه ثانيا والشركة ثانيا دليلا على حذفها أولا"⁽⁶¹⁾. فقد خصص الشركة مع ذكر السماوات مع انه لا شركة فيها وفي الأرض أيضا لان القصد إلزامهم بما هو مسلم لهم وظاهر لكل احد، واوثر انتقاء الخلق مع ذكر الأرض لان مخلوقات الأرض مشاهدة للناس وان ليس لما يدعونهم من دون الله أدنى عمل في إيجادها، وأما الموجودات السماوية فهي محجوبة عن العين لا عهد للناس بظهور وجودها ولا تطورها، فاتبع في حجاجهم هذا سبيل إرخاء العنان أيضا.

ولكي لا يدع لانحراف نفوسهم أي سبيل أو حجة يأخذ عليها الطريق فيطالبها بالحجة والدليل وذلك بقوله: (اِنْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا) وهو أمر يراد منه التعجيز، وقد جرى أيضا على طريقة إرخاء العنان والمعنى: إن كنتم في شك من هذا فقد امهلتكم حتى تأتوني بعد الاستقراء⁽⁶²⁾. وزيد إرخاء العنان بالترديد الذي أوحى به (أو)، فإن لم تستطيعوا ذلك ف(أثارة من علم)، بقية من علم ثابت أو اثر ورواية تؤيدكم أو علامة من أسلافكم تعدونها علما في ذلك⁽⁶³⁾. وختم الآية بقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) بإيثار (إن) للشرط الذي لا يتوقع حصوله، وليس هناك من كتاب يؤيد شركهم أو يقر بتعدد الآلهة وليس هناك من علم ثابت يؤيد ذلك.

وهكذا يواجههم القرآن بالشهادة الجازمة، ويأخذ عليهم طريق الادعاء بلا بينة ويوجههم بأسلوب الحجاج إلى رؤية البحث الصحيح، ليتدبروا في الإجابة عن هذه الأسئلة لعلمهم يقفون على علة ما هم فيه من الضلال.

الخاتمة

بعد ما أبحرت سفينة البحث في محيط القرآن الكريم، وبعد هذه الجولة الممتعة في خضم ألفاظه، وفي هدي نور الذكر الحكيم تتضح الرؤية للبحث كي يخبر بأهم النتائج التي توصل إليها في هذه الدراسة، وعليه فإنني سأكتفي بذكر أهم هذه النتائج التي توصلت إليها بفضل الله عز وجل، وعليه فإن نتائج البحث قد تمثل بما يأتي:

- 1- الحجاج مصطلح بلاغي، يتأرجح بين معنيين متعارضين، يدل أولهما على الخطاب الذي يستهدف الإقناع وتغيير الأحوال والمقامات اعتمادا على الكلمة الخطابية، ويدل ثانيهما على الخطاب الذي يتصل من مهمة الإقناع ؛ لكي يصبح هو في ذاته هدفا وغاية، أي لكي يصبح خطابا جماليا.

2- البلاغة وثيقة الصلة بالإقناع، فوظيفة البلاغة هي وصف الطرق الخاصة في استعمال اللغة وتصنيف الأساليب بحسب تمكنها في التعبير عن الغرض تعبيراً يتجاوز الإبلاغ إلى التأثير في المتكلم أو إقناعه بما نقول أو إشراكه في ما نحس به، وغايتها مد المستعمل بما تعتبره أنجع طريقة في بلوغ المقاصد.

3- توصلنا إلى أن الحجاج فعالية لغوية وعقلانية غايتها إقناع المعارض العاقل بمعقولية رأي من الآراء وهذا ما لمسناه في سور الحواميم، عندما يعبر القرآن عن حقيقة يحاول أن يؤثر في نفس المخاطب، لتقبل هذه الحقيقة، أو التمكين لها، فالتأثير غايته تحقيق التعاطف، لكسب موقف المخاطب، فهو نوع من الاستمالة العاطفية الخالصة، يكون المخاطب مستهدفاً بها، فهذا التأثير ذو الطابع العاطفي الوجداني إنما هو السبيل الممهدة إلى الاقتناع الذي هو ذو طابع عقلي.

4- كما اتضح من خلال النماذج التي بسطناها حول جمالية الحجاج في سورة الحواميم أنّ هذه الأخيرة تقوم على موضوع أساسي وجوهري يتعلّق بـ "التوحيد" الذي بُعث من أجله كلّ الأنبياء والمرسلين السابقين، وقد جاء النبي محمد ﷺ ليكون خاتمهم، يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى ليتحدوا أمة واحدة تعبد الواحد الأحد. لذلك ظلّت أنماط البنى الحجاجيّة في آياتها مرتبطة بهذه القضية.

5- خاطب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تلقيناً له وتعليماً لمواجهة الكافرين في الحجاج بأدلة دامغة وحجج واضحة وقد امتلأ خطاب الحجاج توبيخاً لهم وتقريعاً ودحضاً للحجج الباطلة.

6- استخدم القرآن الكريم في سور الحواميم تراكيب بلاغية كالاستفهام والأمر والنهي والنداء لتمكين الغاية الإقناعية في نفوس المخاطبين

7- نجد الاستفهام في سور الحواميم له وظيفة تنبيهية إفهامية انفعالية منبثقة من أعماق

النص خدمة للفكرة التي يريد إيصالها إلى المتلقي وإقناعه بها لتكون عنصراً حجاجياً
إقناعياً تميل إليه نفس المتلقي.

8- أكثر ما جاء الاستفهام بصيغة الإنكار والتعجب والتوبيخ تأثيراً وإقناعاً للمتلقي

9- جمالية الحجاج في القرآن الكريم ولاسيما سور الحواميم استطاعت أن تؤثر على

النفوس ويستميل العقول من أجل التدبر في آياته ومعجزاته من أجل الإقناع
بقاصده.

هوامش البحث:

(1) أساس البلاغة، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مركز تحقيق التراث، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1 - ط3، 1985: 134.

(2) ينظر لسان العرب لابن منظور، بيروت لبنان دار صادر، مجلد 3 ط1، 2000م: 202/3.

(3) معجم متن اللغة، احمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1960: 685.

(4) الصحاح في اللغة والعلوم، العلامة الجوهري، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، دار الحضارة العربية، بيروت،
1974: 219.

(5) سورة النحل آية 6

(6) كشف اصطلاح الفنون، التهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، مراجعة امين الخولي، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، 1972: 348.

(7) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، جميل صليب، دار الكتاب العربي، بيروت
لبنان ط1 1971م: 408.

(8) ينظر المصدر نفسه: 409.

(9) مراجعات في الاداب والفنون، عباس محمود العقاد، المطبعة العصرية، (د.ت): 46.

(10) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، المجلد الثاني، مادة (حجج)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، بيروت دار الكتب العلمية، ط 1/2000.

(11) التعريفات، الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث (د، ت): 482.

(12) نظرية اللغة الأدبية، إيفانوكس، ترجمة حامد أبو حمد، القاهرة، مكتبة غريب، ط 1/1988: 177.

(13) ينظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد سالم ولد محمد الأمين، مجلة عالم الفكر: 57.

(14) نظرية الحجاج نعمان بوقرة، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، العدد 407، آذار 2005. www.awu-dam.Org.

(15) مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة: 68.

(16) الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، أبو بكر العزاوي، دراسات سيميائية أدبية لسانية، صدر عن دراسات سال، العدد 7، 1992: 101.

(17) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، منشورات كلية الآداب، سلسلة لسانيات، م 13، جامعة منونة، تونس، 2001: 38.

(18) شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، للسيوطي، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، 1358هـ/1939م، د. ط: 103/2.

(19) ينظر: الحجاج في القرآن: 42.

(20) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د: 136.

(21) البرهان في علوم القرآن: 199/2.

(22) جواهر الكنز نجم الدين بن الأثير، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية: 302.

(23) نفسه: 302.

(24) أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، علق حواشيه السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 2002م: 126.

-
- (25) نفسه: 128.
- (26) الأعراف، آية: 158.
- (27) سورة الزخرف: الآية 87.
- (28) ينظر: التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، دار الجماهير للنشر والتوزيع، د.ت.: 271/25.
- (29) تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت _ لبنان، ط1: ج 87/18.
- (30) سورة الزخرف: الآية 9.
- (31) ينظر: التحرير والتنوير: 167/25.
- (32) ينظر: نفسه: 168/25.
- (33) سورة الزخرف: الايتان 81 و 82. ينظر: تفسير الميزان: 126/18.
- (34) ينظر: الجامع لاحكام القرآن ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1967م: 119/16.
- (35) ينظر: تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، قدم له عبد القادر الارناؤوطي، دمشق، دار الفيحاء، والرياض، دار السلام، ط1، 1994: 4؟ 136.
- (36) ينظر: الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، بيروت، دار الفكر، 1979. 266/4.
- (37) جامع البيان في تفسير القرآن، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1967م: 61/25.
- (38) ينظر: النكت في اعجاز القرآن ابو الحسن علي بن عيسى الرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله احمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، د.ت: 105.
- (39) ينظر: النكت في اعجاز القرآن: 105.
- (40) سورة الجاثية: الآية 6.

-
- (41) ينظر: التحرير والتنوير: 330/25.
- (42) سورة الجاثية: الآية 26.
- (43) ينظر: التحرير والتنوير: 365/25. وتفسير الميزان: 179/18.
- (44) ينظر: من بديع لغة التنزيل: من بديع لغة التنزيل، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، عمان - الأردن، ط1، 1404هـ-1984م: 11.
- (45) ينظر: التحرير والتنوير: 365/25.
- (46) سورة الاحقاف: الآية 8.
- (47) البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً، الحواس مسعودي، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد 12 ديسمبر 1997: 341 . 342.
- (48) ينظر: في ظلال القرآن: 3256/6-3257.
- (49) ينظر: وتفسير الميزان: 193/118.
- (50) ينظر: الجامع لاحكام القرآن: 184/16.
- (51) سورة الاحقاف: الآية: 10.
- (52) ينظر: التحرير والتنوير: 330/25.
- (53) ينظر: محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، خرج آياته واحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1376هـ-1957م 5319/14.
- (54) سورة الاحقاف: الآية 10
- (55) ينظر: التحرير والتنوير: 19/26.
- (56) ينظر: م. ن: 20/26
- (57) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين ابي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، 1389هـ-1969م: 139/18.

(58) ينظر: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب، د. منير سلطان، منشأة المعارف - الاسكندرية، ط2، 1997م: 97

(59) سورة الاحقاف: الآية 4.

(60) نظم الدرر: 124/18.

(61) ينظر: التحرير والتنوير: 9/26.

(62) ينظر: تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين بن الحسين القمي، دار المعرفة - بيروت، ط2، 1392هـ-1972م: 5/26.

(63) ينظر: م. ن: 5/26.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1- أساس البلاغة، العلامة جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مركز تحقيق

التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1 - ط3، 1985

2- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، علق حواشيه السيد محمد رشيد

رضا، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2002م

3- البرهان في علوم القرآن: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ)،

تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي

وشركاه، ط1، 1376هـ/1957م

4- البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً، الحواس مسعودي، مجلة اللغة

والأدب، الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد 12 ديسمبر 1997.

5- التحرير والتنوير محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، دار الجماهير للنشر

والتوزيع، د.ت.

-
- 6- التعريفات،، الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث (د، ت).
- 7- تفسير القرآن العظيم. ابن كثير، قدم له عبد القادر الارناؤوطي، دمشق، دالر الفيحاء، والرياض، دار السلام، ط1، 1994
- 8- تفسير الميزان، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات الاعلمي للمطبوعات، بيروت _ لبنان، ط1.
- 9- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين بن الحسين القمي، دار المعرفة - بيروت، ط2، 1392هـ-1972م
- 10- جامع البيان في تفسير القرآن، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1967م
- 11- الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي، عن طبعة دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، 1967م.
- 12- جواهر الكنز، نجم الدين بن الأثير، تحقيق د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية
- 13- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، منشورات كلية الآداب، سلسلة لسانيات، م13، جامعة منونة، تونس، 2001
- 14- الحجاج والشعر، نحو تحليل حجاجي لنص شعري معاصر، أبو بكر العزاوي، دراسات سيميائية أدبية لسانية، صدر عن دراسات سال، العدد 7، 1992:101.
- 15- الصحاح في اللغة والعلوم، العلامة الجواهري، تقديم الشيخ عبدالله العلي، دار الحضارة العربية، بيروت.

-
- 16- الفصل والوصل في القرآن الكريم، دراسة في الأسلوب، د. منير سلطان، منشأة المعارف - الاسكندرية، ط2، 1997م
- 17- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم إمام الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د: 136، وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، للسيوطي، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، 1358هـ/1939م، د. ط0
- 18- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار احياء التراث العربي - بيروت، ط7، 1971م
- 19- كشف اصطلاح الفنون، التهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، مراجعة امين الخولي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972.
- 20- الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، بيروت، دار الفكر، 1979.
- 21- لسان العرب، لابن منظور، بيروت لبنان دار صادر، مجلد 3 ط1، 2000م.
- 22- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، خرج آياته واحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط1، 1376هـ-1957م.
- 23- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيدة، المجلد الثاني، مادة (حجج)، تحقيق عبد الحميد هندراوي، بيروت دار الكتب العلمية، ط 2000/1.
- 24- مراجعات في الاداب والفنون، عباس محمود العقاد، المطبعة العصرية، (د.ت).

-
- 25- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، جميل صليبي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ط1 1971م.
- 26- معجم متن اللغة، احمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.
- 27- مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد سالم ولد محمد الأمين، مجلة عالم الفكر.
- 28- من بديع لغة التنزيل: من بديع لغة التنزيل، د. ابراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، عمان - الاردن، ط1، 1404هـ-1984م
- 29- نظرية الحجاج نعمان بوقرة، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، العدد 407، آذار 2005. www.awu-dam.org
- 30- نظرية اللغة الأدبية، إيفانوكس، ترجمة حامد أبو حمد، القاهرة، مكتبة غريب، ط1 1988.
- 31- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين ابي الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، 1389هـ-1969م.
- 32- النكت في إعجاز القرآن: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق محمد خلف الله احمد، ود. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، د.ت.